

في السنة الأولى

يوم جَبَلَة^(١)، وهو من أعظم أيام العرب، وقصة الفيل^(٢).

ذكر إرضاعه ﷺ:

أرضعته أمه ثلاثة أيام، وقيل: سبعة أيام، وقيل: أرضعته ثوية جارية أبي لهب - وهو الأشهر - بلبن ابنها مَسْرُوح أياماً قبل قدوم حليلة مكة، وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب ﷺ، ثم أرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي^(٣). وأعتق أبو لهب ثوية، فكانت تدخل على النبي ﷺ بعد ما تزوج خديجة ﷺ، فكان يكرمها وتكرمها خديجة^(٤). وكلم يوماً خديجة رسول الله ﷺ فيها، فوهبت لها غنماً^(٥).

وقيل: إنما أعتقها أبو لهب بعد ما هاجر رسول الله ﷺ، وسأله خديجة ﷺ أن يبيعها منها فأبى، وكان رسول الله ﷺ بعدما هاجر يبعث إليها بكسوة وصلّة، وتوفيت ثوية في سنة سبع من الهجرة^(٦).

وذكر أبو نعيم الأصبهاني في إسلامها قولين.

وقال عروة: كانت ثوية مولاة أبي لهب فأعتقها، فأرضعت رسول الله ﷺ، فلما مات أبو لهب رآه بعض أهله في منامه بِشْرٍ حَيِّبَةٍ، فقال له: ما لقيت أبا لهب؟ فقال:

(١) انظر «تاريخ الطبري»، و«المنتظم» ٢/٢٥٩، و«الكامل» ١/٥٨٣.

(٢) انظر «السيرة» ١/٤١، وقد سرد ابن الجوزي في الوفا ص ٩٧ جملة أمهات الحوادث في سنه ﷺ.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ١/٨٧، و«المنتظم» ٢/٢٦٠.

(٤) انظر «المنتظم» ٢/٢٦٠.

(٥) كذا جاء في النسخ، والصواب أن التي كلم رسول الله ﷺ في شأنها، إنما هي حليلة، أتت إليه فشكت جدد بلادها وهلاك الماشية، فكلم رسول الله ﷺ خديجة، فأعطتها أربعين شاةً وبعيراً. انظر «الطبقات الكبرى» ١/٩٣، و«أنساب الأشراف» ١/١٠٨-١٠٩، وسيأتي الخبر عند المصنف قبل السنة السادسة من مولده ﷺ.

(٦) انظر «أنساب الأشراف» ١/١٠٩.

ما لقيت بعدكم روحاً غير أني سُقيت في هذه - وأشار إلى نقرة بين إبهامه وسبابته - قال: بعثني ثوية^(١).

ذكر إرضاع حليلة إِيَّاهُ ﷺ:

وهي: حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث بن سِجْنَةَ^(٢) بن جابر بن رِزَام بن ناصرة بن [فُصَيَّة بن نصر بن] سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلَانَ بن مُضَرَ بن نزار، وزوجها: الحارث بن عبد العزى بن رِفاعَةَ بن مَلَّان ابن ناصرة بن فُصَيَّة بن [نصر بن] سعد بن بكر بن هوازن. وكنيته: أبو ذؤيب، وكان له من الولد: عبد الله، وهو الذي أَرْضَعَتْ حليلة رسول الله ﷺ بلبانه. [وأنيسة وجُدَامَة بنت الحارث] ولقبها: الشِّيمَاء، وكانت تحضن رسول الله ﷺ مع أمها، وهي التي سُبِّيت يوم حنين، وقالت: إني أخت نبيكم^(٣).

قال ابن إسحاق: عن الجَهْم بن أبي الجَهْم قال: حدثني من سمع عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب يقول عن حليلة ابنة الحارث السعدية أم رسول الله ﷺ التي أرضعته قالت: خرجت في نسوة من سعد بن بكر بن هوازن نلتمس الرُّضْعَاء بمكة، فخرجت على أتانٍ لي قمراء قد أَدَمَّتْ بِالرَّكْبِ^(٤)، وخرجنا في سنة شهباء لم يبق لنا شيء أنا وزوجي الحارث بن عبد العزى ومعنا شارفٌ لنا، والله لم تَبِضْ علينا بقطرة من لبن، ومعني صبي لنا، والله ما ننام ليلنا من بكائه، وما في ثديي لبن يغنيه ولا في شارفنا من لبن يُغَدِّيهِ إلا أنا نرجو، فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة إلا عُرِضَ عليها رسول الله ﷺ فتأباه، وإنما كنا نرجو الكرامة في رضاعة من نُرْضِع له من والد المولود، وكان ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٥١٠١). وهذا هو الصحيح أن إعتاقها كان عند ولادة النبي ﷺ، انظر «السيرة الشامية» ٤٥٨/١. وقوله: بشر حبية، أي: سوء حال.

(٢) هكذا هي في (ك)، وفي (خ) غير منقوطة، وضبطها ابن حجر في «الإصابة» ٢٧٤/٤: بالشين المعجمة، وضبطها صاحب «السيرة الشامية» ٤٦١/١ بالسين المهملة.

(٣) انظر «الطبقات الكبرى» ٩٠-٨٩/١، و«أنساب الأشراف» ١٠٦/١. وما بين معقوفين زيادة منهما.

(٤) يروى: «أَدَمْتُ» أي: أطلت عليهم المسافة لتمهلهم عليها، وروي: «أَدَمْتُ» أي: تأخرت بالركب والضمير في «أَدَمْتُ» يرجع إلى الأتان. «إملاء المختصر» ١٣٤/١.

يتيماً، فقلنا: ما عسى أن تصنع أمه؟ حتى لم يبق من صواحباتي امرأة إلا أخذت رضيعاً، غيري، فكرهت أن أرجع ولم آخذ شيئاً، وقد أخذوا صواحباتي، فقلت لزوجي الحارث: والله لأرجعن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه، فأتيته فأخذته، ثم رجعت به إلى رَحلي، فقال لي زوجي: قد أخذتِه؟ قلت: نعم، وذاك أني لم أجد غيره، قال: قد أصبت، عسى أن يجعل الله فيه خيراً، قالت: فوالله ما هو إلا أن وضعته في حجرِي، فأقبل عليه ندياي بما شاء من اللبن فشرب حتى روي وشرب أخوه حتى روي، فقام زوجي إلى شارفنا من الليل فإذا هي تَسِحُّ علينا ما شئنا من اللبن، فشربنا حتى روينا، ومكثنا ليلتنا بخير شباعاً رواء، فقال زوجي: يا حليلة، ما أراك إلا قد أصبت نَسَمَةً مباركة، قد نام صبياننا وروينا.

قالت: ثم خرجنا فوالله لخرَجْتُ أتانِي أمام الركب قد قطعتهم حتى ما يتعلق بها أحد منهم، حتى إنهم ليقولون: ويحك يا بنت الحارث، كُفِّي علينا، أليست هذه أتانك التي خرجت عليها؟ فأقول: بلى والله، فيقولون: إن لها لشأناً. حتى قَدِمْتُ منازلنا من حاضرِ منازل بني سعد بن بكر، فقدمنا على أجذب أرض الله، فوالذي نفس حليمة بيده إن كانوا ليسرحون أغنامهم إذا أصبحوا، وأَسْرَحُ راعي غَنِيمَتِي، وتروح غنمي حُفلاً بطاناً، وتروح أغنامهم جِيعاً هالكة ما لها من لبن، ونشرب ما شئنا من اللبن وما من الحاضرين أحد يحلب قطرة ولا يجدها، فيقولون لرُعَاتِهِمْ: ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليلة. فيسرحون في الشَّعب الذي يسرح فيه، وتروح أغنامهم جِيعاً، وتروح غنمي حُفلاً، قالت: وكان يشب في اليوم شباب الصبي في [الشهر ويشبُّ في الشهر شباب الصبي في] سنة، فبلغ سنتين وهو غلام جَفْر، ففقدنا به على أمه ومكة وبيئته، فقلنا أو قال لها زوجي: دعي ابني فلنرجع به، فإننا نخشى عليه وباء مكة. قالت: ونحن أضنُّ شيء به لما رأينا من بركته. فلم يزل بها حتى قالت: ارجعي به. قال: فمكث عندنا شهرين.

وقال ابن قتيبة: إنما أقام عندهم خمس سنوات^(١).

(١) «المعارف» ص ١٣٢.

فبينما هو يلعب يوماً مع الغلمان خلف البيوت إذ جاء أخوه يشتد فقال لي ولأبيه: أدركا أخي القُرشي، فقد جاءه رجلان فأضجعاه وشقَّ بطنه، قالت: فخرجنا نشتد نحوه، فانتبهنا إليه وهو قائم ممتقع لونه، فاعتنقته واعتنقه أبوه وقال: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقَّ بطني، ووالله ما أدري ما صنعنا. قالت حليلة: فاحتملناه فرجعنا به، قالت: يقول زوجي: يا حليلة، والله ما أرى الغلام إلا قد أصيب، فانطلقني فلنرِّدْهُ إلى أمه قبل أن يظهر به ما نتخوف عليه. فرجعنا به إلى أمه، فقالت: ما ردَّكما به وقد كنتما حريصين عليه؟ فقلنا لها: قد كفلناه وأدبنا ما علينا من الحق فيه، ثم تخوفنا عليه الأحداث فقلنا: يكون عند أمه. فقالت: والله ما ذاك بكما، فأخبراني خبره، فأخبرناها. فقالت: أتخوفتما عليه، والله إن لابني هذا الشأن^(١).

* * *

السنة الثالثة من مولده ﷺ

فيها ولد أبو بكر الصديق ﷺ.

ودخلت السنة الرابعة وبعض الخامسة، وهو ﷺ عند حليلة السعدية ﷺ.

* * *

السنة الخامسة من مولده ﷺ

وفيها شق بطنه.

قال شداد بن أوس: جاء رجل من بني عامر إلى النبي ﷺ فقال: أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟ فأخبرني عن بدء أمرك، فقال: «يا أبا بني عامر، بدءٌ أمرى دعوةٌ أخي إبراهيم، وبُشري أخي عيسى، وإني كنتُ مسترضعاً في بني سعد، فبينما أنا ذات يومٍ مُتَبَدِّدٌ مع أتراب لي من الغلمان في وادٍ بعيدٍ عن أهلي، إذا بثلاثة رهطٍ معهم طستٌ من ذهبٍ قد

(١) «السيرة» ١٤٨/١-١٥٣، والنقل عن «المنتظم» ٢/٢٦١-٢٦٣.